

في

قرية صغيرة قياساً بما عليه مدننا في عصرنا الحاضر في المدينة المنورة وفي قرن هو خير القرون وجد بيت صغير من الطين مسقوف بالجريد ربما لا يتكون إلا من غرفة واحدة أو اثنتين يسكن فيهما زوجين حقاً من النجاح في الحياة الزوجية ما لم يحققه أصحاب الدور والمنازل الفسيحة والحدائق الغناء التي لا تتسع لضيق أصحابها ومشاجراتهم ومشاكلهم الزوجية ، في هذا البيت وفي هذا المجتمع الذي يسير وفق توجيه نبوي يرعاه أشرف الخلق رسول الله محمد ﷺ يتلقى من نبع واحد صافي لا تشوبه مؤثرات ثقافية وافده عبر وسائل إعلامية حديثه تعكّر صفوه وتتصادم مع تعاليمه .

في هذا البيت الصغير يعيش هذين الزوجين أبو طلحة وأم سليم وقد رزقا بطفل صغير يملأ فضائه المحدود بضحكات أو ربما صرخات ، يتمتع بهما والديه فيبذلا له عاطفتهمما الأبوية التي ينشد بذلها كثير من المحرومين من الإنجاب . لكن قدر الله نافعاً ولا راد لحكمه وسنة الله في الابتلاء للخلق أجمعين ويزيد لعباده المؤمنين ؛ مرض هذا الطفل ، فرق له قلبي والديه فقامت والدته ترضه أما الأب فكلما عاد من معترك الحياة خارج منزله الصغير طل على أبنه الصغير وسأل عنه .

وفي أحد الأيام والأب غائباً لفظ الطفل أنفاسه الأخيرة بين يدي والدته فاستوقدت نلر الأمومة في جوفها لكن لا بد من الرضا والاحتساب فردمت تلك العاطفة الملتهبة بصخر من الصبر لتستقبل واجبها الثاني والأهم الذي عجزت بعضاً من النساء في عصرنا هذا عن القيام به أو ببعضه وهو حق الزوج كما أمر الله ، فوارت علامات الحزن عن قسما ووجهها البريء واكتست بدلاً منه بمسحة من البشاشة ثم ارتدت أحسن الثياب وتعطرت لاستقبال زوجها الصحابي الجليل ، وما أن دخل داره وألقى عليها السلام حتى استقبلته بأحسن حال كما أعتاد وزيادة ، فبادرها بالسؤال عن الصبي فأخبرته (أنه أسكن ما كان) - كونه توفاه الله - موريّة لزوجها أنه نائم وجمال أفضل ، فاطمأن لذلك، فقربت إليه العشاء فتعشى ، ثم أصاب منها ، فلما فرغ بدأت رسالتها الثالثة وهي تخفيف المصاب والنبأ على زوجها وأعانتته على الرضا بما قضى الله سبحانه وتعالى فقالت له يا أبا طلحة : (رأيت لو أن قوم أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ، ألهم أن يمنعوهم؟ قال : لا ، فقالت : (فأحتسب ابنك) فاغتاظ أنها لم تخبره حتى أصاب منها .

وفي صبيحة اليوم التالي يذهب إلى معلم الناس الخير والخلق الحسن إلى رسول الله ﷺ ليخبره بما حدث فيسر عليه الصلاة والسلام بصنيعها ويدعو لهم الله أن يبارك لهم في عرسهم تلك الليلة .

زوجة سالحة

عثمان بن ناصر بن محمد السعيد

أبو عبدالمجيد